



جماليات التشبيه في أسماء بعض الحشرات والحيوانات

د. محمد علي سليم البجّاح

قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة طرابلس

mohdbahbah@yahoo.com

توطئة:

تناول العرب أسماء بعض الحشرات والحيوانات في تشبيهاتهم المختارة، بغية التنوع في أساليبهم؛ للوصول إلى المعنى المراد من خلال الصورة التي أرادوا تجسيدها في أشعارهم بتنوع أغراضها، ويكثر هذا الأسلوب في الوصف والمدح والهجاء من بداية شعر العصر الجاهلي إلى شعر المخضرمين والإسلاميين، وصولاً إلى عصر المولدين والعصور المتتالية بعده، ثم الشعر في العصر الحديث.

كما نجد استعمال القرآن الكريم أسلوب التشبيه بصورة مؤثرة في معالجة العديد من القضايا، فيبين القرآن الكريم بعض القضايا الرئيسية بأسلوب التشبيه المفرد والمركب -التمثيلي- بذكر أسماء بعض الحشرات والحيوانات؛ لمعالجة الجوانب العقدية والإنسانية والاجتماعية والفكرية في قلوب الناس؛ لبيان حقيقتها المدروسة وكيفية معالجتها، ويتضح ذلك في بيان حال المشركين أو المنافقين أو المكذبين.

وأهدف إلى بيان استعمال العرب في الوصول لمرادهم، من خلال كائنات الطبيعة المحيطة بهم وتأثرهم بها، وكذلك اختيارات القرآن الكريم لتلك الكائنات الحية في تشبيهه للقضية التي أراد توضيحها للناس من بيئتهم؛ بغية تقريب الصورة لهم من خلال حياتهم اليومية التي يعيشونها وما هم عليه من قناعات في معتقداتهم الإيمانية الخاطئة، فجاء التشبيه القرآني باستعمال تلك الحشرات والحيوانات؛ لتمحيص أحوالهم ومعالجتها.

أما أهمية بلاغة الصور التشبيهية في أشعار العرب وفي كلام الله تعالى بذكر أسماء بعض تلك الحشرات والحيوانات، فيرجع إلى التشبيه بها دون غيرها،

وقوة الموضوعات التي سيقَّت لها، وبيان الصورة من ذلك الاختيار في كيفية المعالجة.

ولعدم اطلاعي على بحث منفرد يتناول جماليات الصور التشبيهية في أسماء بعض الحشرات والحيوانات أردت أن أفرد بعض استعمالات العرب لها في أشعارهم، كما أردت أن أغوص في تناول القرآن الكريم لبعض تلك الحشرات والحيوانات؛ للوصول إلى الأسرار القرآنية البلاغية المرادة من ذلك التشبيه، واستعنت في إيراد أشعار العرب ببعض الدواوين وكتب الأدب، ومن الدواوين: ديوان عمرو بن كلثوم، ولقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي، والفرزدق، وعلي بن الجهم، وابن الورد، وابن الرومي، وحَمَّاد عَجْرَد. ومن الكتب: الشعر والشعراء لابن قتيبة، والأغاني للأصفهاني، والمثل السائر لابن الأثير، والطرارز للعلوي وغيرها.

وفي ذكر الآيات القرآنية التشبيهية المذكورة استعنت ببعض التفاسير والكتب البلاغية، منها: الكشف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وأسرار البلاغة للجرجاني، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للصعيدي، وغيرها من الأمهات.

وقد رأيت وسمُّه بعنوان: **(جماليات التشبيه في أسماء بعض الحشرات والحيوانات)**، كما ارتأيت أن أسير على المنهج التكاملي القائم على مجموعة من المناهج في جمع المادة وتحليلها واستخلاص النتائج منها؛ لأن البحث يحتاج لجمع بعض الآيات الشعرية من مختلف العصور التاريخية في صور التشبيهية وغيرها، وبيان دلالة الآيات القرآنية التي تناولت التشبيه بأسماء الحشرات والحيوانات، وهو أمر متعلق بمعالجة الجوانب النفسية من خلال النص القرآني ومقاصده القرآنية بذلك التشبيه، ثم الجانب الوصفي القائم على جمع المعلومات وتصنيفها وترتيبها وتحليلها واستخلاص النتائج منها، فاستوجب البحث السير على المنهج التكاملي الشامل.

وبذلك جاء تقسيم البحث وفق عناوين محددة، بعضها ذُكرت بصورة موجزة، وأخرى تفصيلية، فجاءت الموجزة متضمنة: توطئة البحث، وفيها طبيعة البحث في بيان مرآته المتضمنة أهمية البحث، وهدفه، وسبب اختياره، وتقسيماته.

كما جاءت بعض العناوين الأخرى موجزة، فجاءت في الجانب الأول من البحث، وهي: مفهوم التشبيه في اللغة والاصطلاح، وأركان التشبيه، وأقسامه، والحاجة إليه؛ لتهيئة القارئ لفهم جوانبه التفصيلية المراد دراستها.

أما العناوين المفصَّلة، فجاءت في الجانب الثاني من البحث، فتناولت التشبيه بأسماء الحشرات والحيوانات في الشعر والقرآن الكريم، فجاء ذكر أسماء بعض الحشرات والحيوانات في أشعار العرب، مقرونة بدراسة توضيحية قرآنية لبلاغة التشبيه في ذكر تلك الحشرات والحيوانات، كما أوردت تشبيهاً بالحيوانات لم تتضح صورته التشبيهية في كتاب الله؛ كما في التشبيه بالقرد؛ لأوضح تنوع التشبيه وغايته في الحيوانات في شعر العرب وكلام الله؛ أي: ليس كل تشبيه ورد في شعر العرب نجده كذلك في كتاب الله بنفس الصورة التشبيهية الواضحة. ثم خاتمة القول، فنُتَبَّه بالمصادر والمراجع، وقد جاء البحث وفق الآتي:

الجانب الأول- التشبيه، ويتناول: مفهومه- أركانه- أقسامه- الحاجة إليه:

نتناول مفهوم التشبيه وما بعده من عناوين بصورة موجزة؛ بوصفها معروفة عند أهل التخصص، وجاء ذكرها هنا للوصول إلى مضمون البحث بصورة تسلسلية منتظمة.

مفهوم التشبيه:

التشبيه لغة: التَّمَثِيلُ، يقال: هذا شبه هذا، وهذا مثيله، وأشَبَه الشيء الشيء ماثله⁽¹⁾.

أما في الاصطلاح: فالدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما، ولا يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد. أو هو بمعنى عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم للعلم⁽²⁾.

1- أركان التشبيه أربعة: ونذكرها بإيجاز شديد؛ لأنها معروفة عند أهل البلاغة وغيرهم، ولتطبيق تسلسل المعلومات، وهي:

¹ - ينظر: لسان العرب- مادة -2189/4.

² - ينظر: معجم البلاغة العربية360/1؛ وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع ص219؛ والبلاغة العربية2/162.

أ- المُشَبَّه. ب- المُشَبِّه به. ج- وجه الشَّبه. د- أداة التشبيه⁽¹⁾.

2- أقسام التشبيه:

ينقسم التشبيه إلى تقسيمات عديدة باعتبار الطرفين، والوجه، والأداة، والغرض⁽²⁾، وسأذكر منها تقسيم التشبيه إلى التشبيه المفرد والتشبيه المركب المندرج تحت تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين؛ لأنهما صلب البحث، ولكي لا أُجهد ذهن القارئ بإحصاء أقسام التشبيه الأخرى وتنوع تفرعاتها المتعددة وأمثلتها، ولوجود آيات قرآنية تناولت التشبيهين المذكورين بأسماء الحشرات والحيوانات المراد دراستها.

وبذلك سأمهد بذكر مفهوم التشبيه المفرد، والتشبيه المركب- التمثيلي-، مع التمثيل لهما؛ لتقريب صورة التشبيهين في ذهن القارئ، لفهم ما جاء في كلام العرب، وصولاً إلى الغوص في الأسرار القرآنية المُتناوِلة في البحث، وفق الآتي:

التشبيه المفرد: هو التشبيه الذي يشابه المشبَّه المشبَّه به، بوجه من الوجوه، أو جانب من الجوانب⁽³⁾، كتشبيه محمد بالأسد، والجاهل بالأعمى، والجَهْل بالظلمات، والشعر الأسود بالليل وغيرها.

التشبيه المركب، المسمَّى (التمثيل)، فهو التشبيه الذي يُصوِّر أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه يكون مأخوذاً منه ومن غيره، أو من الصُّورة في عمومها⁽⁴⁾، كما في قول الشاعر⁽⁵⁾:

تَبْنِي سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ⁽⁶⁾

1 - ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع ص219.

1 ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة 424/3 ، 430: 453.

2 ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة 424/3 ، 430: 453.

3 - ينظر: البلاغة العربية 185/2.

4 - ينظر: البلاغة العربية 185/2.

5 - البيت من البسيط، لعمر بن كلثوم، ويروى لكلثوم بن عمرو العتابي، من ولد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة، وهو في ديوانه ص41، والإيضاح في علوم البلاغة ص236، وأسرار البلاغة في علم البيان ص130، تح: هنداوي.

6 - تبني سنايكها؛ أي: الخيل، والسُّنْبُك طرفُ الحافر وجانباه من قُدَم، وجمعه سنايك. ينظر: لسان العرب -

فالشاعر يُشَبِّه لمعان السيوف في الغُبار بالكواكب في الليل، فقد أراد بالسقف الغبار⁽¹⁾، فوجه الشبه في البيت هيئة منتزعة من متعدّد، وجاء التشبيه على شكل عناصر متلاقية في المشبّه في صورة ارتفاع السنايك فوق الرؤوس، تقابل أمثالها في المشبه به بصورة السقف مع السيوف القواطع في هيئة كليّة في صورة تامة مركبة⁽²⁾.

3- الحاجة إلى التشبيه:

موقع التشبيه حسنٌ متميز في فنون البلاغة؛ لأنه يبرز الخفي إلى الجليّ، ويجعل الصورة البعيدة قريبة، ويعطي المعاني وضوحاً ويلبسها روعة وبهاءً وجمالاً، فهو فنٌّ يكثر فيه اختيار الألفاظ؛ لإثبات صورة معينة، وإذا أردنا إثبات صفة لموصوف، بحثنا عن من يملك تلك الصفة الجلية فيه، وجمعنا بين الشئيين في صورة تشبيهية، بأن تأخذ من المشبّه به الصفة المرادة للمشبّه؛ لإثباتها له.

لقد أخذَ التشبيه منذ بدايته من الطبيعة وما هو حول الإنسان من ماء وشجر وحجر ونبات وحيوان وسماء وأرض وسحاب وغيرها؛ ليكون قريباً من الأفهام، ولخلق صورة بيانية واضحة في ذهن السامع، ولتقريب المعنى المراد، من خلال الصورة المجسدة للواقع، هذه الصورة التشبيهية الطبيعية ما زالت حية إلى يومنا هذا.

ويعبر الميداني عن الدواعي لاستخدام أسلوب التشبيه في الكلام، وما يؤخذ من الطبيعة، فيقول: «في كثير من الصُّور التشبيهية ... لوحاتٌ جماليةٌ مختلفة...، فمنها ما تنتزعه الذاكرة اللَّمّاحة من الطبيعة الجميلة في المدركات الحسيّة كما هو، فيقيس الفكر عليه، ويشبه به، ومنها ما يجمع الفكر عناصره من الطبيعة، ويؤلف الخيال بين هذه العناصر تأليفاً مبتكراً في صورة، ثم يقيس الفكر عليها ويشبّه بها»⁽³⁾.

مادة سنبك 2111/3. والبيض المباتير: السيوف القواطع، وسَيْفٌ باتِرٌ وَبَتَرٌ وَبَتْرٌ قَطَّاعٌ. ينظر: لسان العرب- مادة بتر - 205/1.

1- ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري 285/3

2 - ينظر: أسرار البلاغة ص175، تعليق محمود شاكر؛ والبلاغة العربية 189/2.

3 - البلاغة العربية 167/2 .

الجانب الثاني- التشبيه بأسماء الحشرات والحيوانات في الشعر والقرآن الكريم:

ورد في شعر العرب العديد من أسماء الحشرات والحيوانات، غير أن البحث سيقصر على ذكر التشبيه في بعض أسماء الحشرات والحيوانات التي تناولها العرب في شعرهم، ولا يلزم ذلك ورودها بنفس الصورة التشبيهية في القرآن الكريم، فبعضها ورد التشبيه بها في كلام العرب ولم تأت في القرآن الكريم في باب التشبيه، مثل: القرد والخنزير، وبعض الحشرات والحيوانات وردت في كلام العرب وفي كتاب الله معاً لغرض التشبيه، مثل: العنكبوت والبعوضة والعمار والكلب، وسأختار بعض الشعراء من عصور مختلفة، كما أنني سأقدم الشعر قبل كلام الله في الأمثلة المختارة؛ تهيئة بالشعر في تقريب صورة استعمال هذه الحشرات والحيوانات والمعاني التي سيقى لها في ذهن القارئ؛ لنصل بسهولة ويسر إلى المقاصد القرآنية في إيراد التصوير التشبيهي وكيفية المعالجة القرآنية الإيمانية المرادة في قلوب الناس.

وفي حالة ذكر بعض الحشرات والحيوانات بصورة تشبيهية في كلام العرب ولم ترد تلك الصورة في كتاب الله، فسأذكر التشبيه الوارد في كلام العرب لتلك الحشرة أو الحيوان تبعاً لجنسها، مع ذكر الآية أو الآيات التي تذكر تلك الحشرة أو الحيوان في غير صورة التشبيه، محاولاً الربط بين التشبيه في البيت الشعري المذكور، ومعنى الآية التي ذكرت تلك الحشرة أو الحيوان؛ لزيادة فهم الشاهد الشعري من خلال النص القرآني، وستكون البداية بذكر التشبيه بالحشرات، فالحيوانات، وفق الآتي:

1 - التشبيه بأسماء بعض الحشرات:

أذكر أحياناً من كلام العرب في ذكر العنكبوت والبعوضة في صورتها التشبيهية، كما أتناول هاتين الحشرتين في القرآن الكريم، مبيهاً فيها صورة المعاني القرآنية البلاغية المرادة من التشبيه بها، مبتدئاً بالعنكبوت، فالبعوضة، وفق الآتي:

أ - التشبيه بالعنكبوت:

جاء ذكر العنكبوت⁽¹⁾ في كلام الكثير من الشعراء، منه ما كان في صورة التشبيه - كما سيأتي-، ومنه ما جاء في غير التشبيه⁽²⁾.
ويهمنا هنا التشبيه بالحشرات، فقد جاء هذا التشبيه بما أنشده الفراء في قول الشاعر: ⁽³⁾

على هطالهم منهم بُيوتٌ كأنَّ العنكبوت هو ابتناها⁽⁴⁾

فالشاعر يذكر سكنى من أراد هجاءهم بأنهم يبنون بيوتهم مهلهلة؛ لأنها تقع فوق جبل، فهي غير محمية، تنهدم وتنتهي إذا لمسها شيء، فهي عرضة لأشعة الشمس ولحركة الرياح، فلا تقيهم حرَّ الصيف ولا برودة الشتاء، فصورتهم مثل صورة العنكبوت في بناء بيتها الضعيف المهلهل غير القوي؛ لعدم حمايته.

¹ - عنكب: ذكر الهروي في تهذيب اللغة أن العنكبوت أنثى، والتأنيث في العنكبوت أكثر، ويجمع عناكب وعنكيب وعنكوبات، ويصغر على: عنكب وعنكيب. وفي لغة أهل اليمن: عنكبوة وعنكباء، فالعنكبوت: دويبة تنسج في الهواء وعلى رأس البئر نسجاً رقيقاً مهلهلاً. والعنكبوت أنثى وتذكر. ينظر: تهذيب اللغة 258/7.

² - من الأمثلة في غير التشبيه، مثل قول ذي الرمة:
هي انتسجته وحدها أو تعاونت على نسجه بين المثاب عناكبه.
البيت من الطويل، ولذي الرمة، فينظر: ديوانه 854/2؛ وكتاب العين 309/2؛ وأساس البلاغة ص 454 (نسج)؛ والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية 244/1.
هي انتسجته: يعني العنكبوت، والمثاب: مقام الساق. ينظر: ديوان ذي الرمة شرح الباهلي 854/2.
ونجد زهير بن أبي سلمى يذكر العنكبوت بأحد أسمائها الأخرى المعروفة به عند الأوائل، وهو: (أُمُ قَسْعَم)، فيقول:

قَسَدٌ ولم يُفزع بُيوتاً كثيرةً لَدَى حَيْثُ أَلَقَتْ رَحْلَهَا أُمُ قَسْعَمٍ
فالشاعر يصور حالة الرجل الذي قتل رجلاً واحداً ولم يفزع بيوتاً كثيرة؛ أي العامة بطلب واحد، ولو قتل أكثر من واحد لكان الفزع أكثر، ويريد بذلك تملقهم وعدم غضبهم وأنه قصد لثأره ولم يرددهم، فهو يدعوهم لقبول الدية والصلح بدلاً من الحرب⁽²⁾.

كما نجد اسماً آخرًا للعنكبوت يستعمله الشعراء في أشعارهم، وهو الخَدَنَقَ وقد أنشد أبو عبيدة رجلاً للرقيان السَّعْدِي، قوله:
وَمَنْهَل طَامَ عَلَيْهِ الْعَلْفَقُ

يُنِيرُ أَوْ يُسْدِي بِهِ الْخَدَرَنَقُ
سبائباً يجيدها ويصفق

³ - البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في لسان العرب 632/1 - عنكب-؛ وتهذيب اللغة 309/3؛ وتاج العروس 446/3 - عنكب-، و-هطل-؛ والمعجم المفصل في شواهد العربية 8/282.

⁴ - الهطال: اسم جبل، وهو المقصود من البيت. والهطلى من الإبل التي تمشي رويداً، وجاءت الإبل هطلى وهطلى؛ أي: متقطعة، وقيل هطلى: مطلقاً ليس معها سائق. ينظر: لسان العرب -هطلى- 4675/6.

كما جاءت بعض النصوص القرآنية مستخدمة اسم العنكبوت في صورة تشبيهية؛ لبيان صورة رابطة بين حياة بعض الناس الذين اتخذوا أولياء من غير الله لَا يَنْفَعُونَهُمْ وَلَا يَضُرُّونَهُمْ في شيء، بتشبيههم ببيت العنكبوت التي لَا يَنْفَعُهَا بيتها فلا يَقْبِهَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا؛ لأن بيتها من أو هن البيوت وأضعفها في ظاهره وباطنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

لقد استعمل الله تعالى هذا التشبيه المفرد في أمر عقدي عظيم، وهو بيان صورة الكافرين الذين اتخذوا أولياء من دون الله، فعبدوا الأصنام والأوثان، وتركوا عبادة الواحد الأحد، فكان التوضيح القرآني لبيان صورة حال الكافرين، وما هم عليه من وهن وضعف في عقيدتهم بحال العنكبوت التي اتخذت بيتًا وهنًا، معتقدة أن بيتها متينٌ وهو أضعف البيوت، فقد تناول الزمخشري في تفسيره هذه الصورة، ووضح التشبيه في الآية، وأن الغرض هو: «تَشْبِيهُ مَا اتَّخَذُوهُ مُتَكَلِّلاً وَمُعْتَمِدًا فِي دِينِهِمْ، وَتَوَلَّوْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِمَّا هُوَ مَثَلٌ عِنْدَ النَّاسِ فِي الْوَهْنِ وَضَعْفِ الْقُوَّةِ، وَهُوَ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ»⁽²⁾.

كما وضّح أبو حيان في تفسيره التشبيه في الآية ببيان صورة الكافرين في عبادتهم الأصنام، واعتمادهم عليها بحال العنكبوت التي تعمل في بيتها ليل نهار، معتقدة أنه بيت من أقوى البيوت، وهو بيت ضعيف، لا عماد له، يتهدّم وينتهي إذا مسّه شيء، فقال: «فِي تَشْبِيهِ تَعَالَى الْكُفَّارِ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، وَبِنَائِهِمْ أُمُورَهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَبْنِي وَتَجْتَهُدُ، وَأَمْرُهَا كُلُّهُ ضَعِيفٌ، مَتَى مَسَّهُ أَدْنَى هَامَةٍ أَوْ هَامَةٍ أَذْهَبَتْهُ، فَكَذَلِكَ أَمْرُ أَوْلَئِكَ، وَسَعْيُهُمْ مُضْمَجَلٌّ، لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا مُعْتَمَدٌ»⁽³⁾.

فالغرض من صورة التشبيه في الآية عدم النفع والجدوى لمن يتخذ وليًا من غير الله، فالتشبيه ببيت العنكبوت لا العنكبوت ذاتها، في وهنه وعدم فائدته في الاستضلال والسكنى وغيرهما، فهذا يثبت أن دينهم أو هن الأديان بعبادتهم الأوثان، بقوله: «وَالَّذِي يَظْهَرُ، هُوَ تَشْبِيهُ الْمُتَّخِذِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، بِالْعَنْكَبُوتِ الْمُتَّخِذَةِ بَيْتًا... وَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْوَهْنِ، بِحَيْثُ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، كَمَا أَنَّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ لَا تُنْفَعُ وَلَا تُجْدِي شَيْئًا الْبَتَّةَ»⁽⁴⁾.

¹ - العنكبوت: 41.

² - الكشاف/3/454.

³ - البحر المحيط/8/357.

⁴ - البحر المحيط/8/357.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فالمعنى في نهاية الآية لا يرتبط بوهن البُيُوتِ، وهو بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ؛ لعدم خفائه على أحد؛ بل بوهن عقيدة الكافر، فالمراد أنهم لَوْ عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِثْلَهُمْ فِي وَهْنِ عَقِيدَتِهِمْ، وَأَنَّ أَمْرَ دِينِهِمْ بِعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا فِي غَايَةِ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ لَأَقْلَعُوا عَنْهُ، وَمَا اتَّخَذُوا الْأَصْنَامَ إِلَهَةً⁽¹⁾.

كما جاء عند العلوي بيان صورة أسرار هذا التشبيه العامة، بقوله: «فإن الله تعالى ضربه مثالا لضعف الأمر ووهنه في كل شيء»⁽²⁾.

وتتضح تلك الصورة الشاملة في الصورة التلميحية الرائقة التي ذكرها العلوي في معنى ضعف ووهن البيت، بقوله: «أرق من نسج العنكبوت، وأضعف من بيتها»⁽³⁾. ويبدو أنه يشير إلى ضعف البيت وعدم الفائدة منه.

ومن خلال ذلك كله يتضح أن الغرض من التشبيه هو بيان صورة الكافرين وحالهم في بناء عقيدتهم الفاسدة الضعيفة بعبادتهم الأصنام من دون الله، فجاء تشبيه حالهم بالعنكبوت في بيتها، فهي تبني بيتاً ضعيفاً تسكنه، وتأتي للحشرات التي تلتصق ببيتها فتأكلها، كما أنها تأكل بعضها بعضاً، فالكافرون يبنون عقيدتهم على شيء وهن، بعبادتهم الأصنام، ويقفون في وجه المؤمنين؛ بإصرارهم على العبادة الضعيفة، فالعلاج القرآني وضَّح حالهم؛ ليتركوا عبادة الوهن والضعف التي لا تنفع، وهي الأصنام، ويعبدوا الله الواحد الأحد، الواجب العبادة له.

¹ - ينظر: الكشف/3/454؛ والبحر المحيط/8/358.

² - الطراز/1/218.

³ - الطراز/3/97.

ب - التشبيه بالبعوضة:

قال ابن الوردي⁽¹⁾ بيتاً من قصيدة تكوّنت من أربعة عشر بيتاً، وهي ملغز في نار: ⁽²⁾

تَرَاهُ نَهَارًا كَالْبَعُوضَةِ خِسَّةً⁽³⁾ وَبِالْلَّيْلِ كَالطُّودِ الَّذِي طَالَ وَاشْمَخَ⁽⁴⁾

فالشاعر في قصيدته يذكر شيئاً في لغز، يُصَوِّره في عدة صور، منها أنك ترى من يذكره في النهار كالبعوضة في الخسّة؛ لأنها تنزل في الأماكن القذرة وتفعل ما لا ينفع الناس، فشبه ذلك الشيء بالبعوضة، ففي النهار خسيساً في أفعاله، وفي الليل تراه كالطود في ارتفاعه، فالتشبيه بالبعوضة؛ لحقارتها، وصغر حجمها.

وجاء الاستعمال القرآني باسم البعوضة في تحدّي قرآني كبير، باستعمال الصورة التشبيهية المفردة؛ لبيان قوة الإعجاز ودقته في ذكر البعوضة وأحوالها، رغم صغر حجمها وحقارتها في أعين الناس⁽⁵⁾، وكان ذلك الاستعمال في سياق توضيح صورة عناد الكفار بكفرهم ورفضهم رسالة الإسلام وعجزهم في معرفة الكبير والصغير مما خلق الله، فكان الاستعمال القرآني بذكر البعوضة رغم استهزاء الكفار بعظمة هذه الرسالة، فجاء التحدي في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ

¹ - هو: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الوردي المعري الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد بمصر النعمان بسورية سنة (691هـ - 1292م)، ومنها جاءت إليه نسبة المعري، وتوفي في حلب في 17 من ذي الحجة سنة (749هـ - 1349م). تولى القضاء بمنيح. من كتبه: شرح ألفية ابن مالك، وديوان شعر، وتنمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردي وغيرها. ينظر: الأعلام 67/5، وديوان ابن الوردي ص 7 : 13.

² - البيت لابن الوردي في ديوانه ص 236.
وأول بيت في القصيدة: عجبْتُ لشيءٍ كلُّ شيءٍ يهابُهُ
عظيمٌ ومِنْ ضررٍ
وآخر بيت في القصيدة: فيا ناظراً في اللغز لو رمت كشفهُ رجعتُ إلى القولِ الذي قالهُ عمرُ
ينظر: القصيدة في ديوانه ص 235، 236.
³ - وتروى (حيّة) بدلاً من (خسّة). ينظر: ديوان ابن الوردي ص 236.
⁴ - اشْمَخَ: طال. قال ابن الأعرابي: الشَّمَخُ، الطَّوِيلُ مِنَ الْجِبَالِ. والمَشْمَخُ: الجَبَلُ العَالِي. ينظر: تاج العروس - شمر - 57/7.

⁵ - الطراز 167/1.

مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ⁽¹⁾.

وقبل الدخول في بيان صورة التشبيه في الآية أرى أن أذكر مفهوم المثل في اللغة، وسبب نزولها؛ لارتباطهما بمضمون التشبيه في الآية، كالآتي:

المثل في اللغة: هو أساس التشبيه، ومعناه: الشبيه. وتدلُّ في السياق القرآني على أنها الكلام البليغ المشتغل على تشبيهه بديع⁽²⁾.

سبب نزول الآية: يرتبط السبب بمعنى صورة المثل بالبعوضة في الآية، فنجد الرازي في تفسيره يوضح هذا السبب، وهي الشبهة التي أوردَهَا الْكُفَّارُ قَدْخًا فِي الْقُرْآنِ بِذِكْرِ النَّحْلِ وَالذُّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالْتَّمَلْ، ويرون ذكرها لَا يَلِيقُ بِفَصَاحَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْجَازِهِ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مضمون الآية، كما عبّر عنه الرازي، بقوله: «بِأَنَّ صِغَرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا يَقْدَحُ فِي الْفَصَاحَةِ؛ إِذَا كَانَ ذِكْرُهَا مُشْتَمِلًا عَلَى حِكْمٍ بَالِغَةٍ»⁽³⁾.

أما سبب ذكر الصورة التشبيهية في الآية، فيذكر ابن عاشور أنها: «جُعِلَتْ هُنَا مَثَلًا لِشِدَّةِ الضَّغْفِ وَالْحَقَارَةِ»⁽⁴⁾.

وجاء في التفسير الميسر: يبين الله حال الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَسْخَرُونَ وَيَتَعَجَّبُونَ فِي ضَرْبِ اللَّهِ الْمَثَلِ بِالْحَشَرَاتِ الْحَقِيرَةِ، مِنْهَا الْبَعُوضَةُ، وَكَيْفَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سَوَالِهِمْ، قَالَ صَاحِبُ الْمَيْسَرِ: «وَيَجِيبُهُمُ اللَّهُ بِأَنَّ الْمَرَادَ هُوَ الْاِخْتِبَارُ، وَتَمْيِيزُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ»⁽⁵⁾.

وبذلك نرى أن صورة الردّ القرآني في التمثيل بالبعوضة في الآية هي بيان ما عليه الكفار من ضعف وحقارة؛ في عدم إيمانهم بالله تعالى، ولا يتعلق الأمر بذكر البعوضة في حد ذاتها؛ لأن وراء ذكرها غاية كبيرة، وهو التحدي والبيان لحالهم وصغر وحقارة عقيدتهم الفاسدة، وتوبيخ حالهم في عبادتهم الأصنام والأوثان، فهي صورة تنطبع على ما يجب أن يكون عليه الكفار من الاستحياء؛ لسوء عبادتهم.

1 - البقرة: 26.

2 - التفسير الوسيط للقرآن الكريم 83/1.

3 - مفاتيح الغيب 361/2.

4 - تفسير التحرير والتنوير 362/1.

5 - التفسير الميسر 5/1.

أما المؤمنون فيذكر الله تعالى بأنهم يعلمون حقيقة السوء في حال الكافرين الذين يزدادون ضلالاً برفضهم قول الحق، وإضلالهم لغيرهم، حتى وصل الأسلوب القرآني إلى وصف الكافرين بالفاسقين. ومن هنا نلاحظ أن التشبيه القرآني المفرد بالبعوضة جاء في وصف حال الكافرين ومعالجة نفسيتهم، بتحذيرهم وتوبيخهم، كما جاء في مدح المؤمنين بقوة معرفتهم للحق، وعلمهم بأحوال الكافرين، وطبيعة عقائدهم الفاسدة.

ج- التشبيه بالجراد:

جاء في شعر العرب ذكر الجراد في صورة تشبيهية للشاعر لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي⁽¹⁾ في قصيدته التي أرسلها إلى قومه ينذرهم غزو كسرى لهم، وقد كتب قبل القصيدة مقدمة شعرية من أربع أبيات، جاء فيها تشبيه جيش كسرى بالجراد في الكثرة والقوة، وهي:⁽²⁾

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيطٍ إِلَى مَنْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ إِيَادٍ
بِأَنَّ اللَّيْثَ كَسَرَى قَدْ أَتَاكُمْ فَلَا يَشْغَلُكُمْ سَوَقُ النَّقَادِ⁽³⁾
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُّونَ أَلْفًا يَرْجُونَ الْكَتَائِبَ كَالْجَرَادِ⁽⁴⁾

¹ - شاعر جاهلي فحل، من قبيلة (بني إباد) بعث قصيدته إلى قومه ينذرهم بأن كسرى وجه جيشا لغزوهم، ووقعت القصيدة في يد أوصليها إلى كسرى، فسخط عليه، وقطع لسانه، ثم قتله. له ديوان شعر - مطبوع. توفي في 250 هـ - 380 م. ينظر: الأعلام 244/5، 245.
² - أما قصيدة لقيط فتأتي بعد هذه المقدمة الشعرية، فهي العينية المشهورة التي يصف فيها الشاعر حال قومه وضعفهم وتخائلهم وقوة عدوهم، ثم يبين لهم ما يجب أن يتحلى به من يولونه قيادهم من صفات، وعدد أبياتها خمسة وخمسون بيتاً، وهي من غرر الشعر، مطلعها:
بَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مَحْتَلَّهَا الْجَرَاعَا هَاجَتْ لِي الْهَمُّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَعَا
وفي هذا البيت عدة كلمات تحتاج لشرح، أردت إثباتها، وهي: (عمرة): اسم محبوبته. و(الجرع): رمل يرتفع وسطه ويكثر وتُرَقَّ نواحيه، فيعشب، فيحلها الناس. و(هاجت لي الهم): أثارت. ينظر: ديوان لقيط بن يعمر ص 54؛ ودراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق ص 126.
ويختتمها بقوله:

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

³ - النقاد: بكسر النون: صغار الغنم، أو هي جنس منها قصار الأرجل قباح الوجوه. ينظر: الشعر والشعراء 195/1.

⁴ - يزجون: يرمون. والزُّج: الحديد التي تُرْكَبُ في أسفل الرمح والسيان يُرْكَبُ عاليته؛ وهو الذي تُرْكَبُ به الرُّمَحُ في الأرض والسيان يُطْعَنُ به، والجمع أَرْجَاجٌ وَأَرْجَةٌ وَزَجَاجٌ وَزَجَجَةٌ. ينظر: الشعر والشعراء 195/1؛ ولسان العرب - زجج- 1811/3. والكتائب: الجيوش، والكتيبة، وهي القطعة العظيمة

عَلَى حَقٍّ⁽¹⁾ أَتَيْنَكُمْ، فَهَذَا أَوَانُ هَلَاكِكُمْ كَهَلَاكِ عَادٍ⁽²⁾

فقد جاء التشبيه بالجراد في البيت الثالث السابق، فبين الشاعر صورة كثرة عدد جيش كسرى وتدافعه وقوته مدججاً بالأسلحة، مثل الجراد في كثرتهم وتدافعه، كما يصور الشاعر حقيقة هلاك قومه كهلاك قوم عاد، بلا بقية لهم . وفي القرآن الكريم ورد تشبيه الخارجين من قبورهم بصورة الجراد المنتشر؛ لكثرتهم وتموجهم من أعدادهم الكثيرة، في قوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾⁽³⁾، فقد ذكر الزجاج صورة التشبيه في الآية، فقال: «وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، والفراش المبعوث؛ لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض»⁽⁴⁾.

أما الزمخشري فقد ذكر في موضعين صورتَي الجراد والفراش، ففي الصورة الأولى- شبه الناس في يوم القيامة بالجراد المنتشر المذكور، فقال: «الجراد مثل في الكثرة والتموج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد...منتشر في كل مكان؛ لكثرتهم»⁽⁵⁾.

وفي الصورة الثانية- جاء تشبيههم بالفراش المبعوث، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾⁽⁶⁾، فقال: «شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار»⁽⁷⁾، وهذا الربط يصور تسلسل حالة الناس يوم القيامة، الحالة الأولى- الفراش المبعوث، والحالة الثانية- الجراد المنتشر.

ويصور القرطبي الحالتين المذكورتين في الآية، فالصورة الأولى- تشبيه صورة الناس يوم القيامة بالجراد المنتشر الذين يعرفون طريقهم عند سماع

من الجيش، والجمع الكتابي. ينظر: لسان العرب - كتب- 3818/5.

¹ - الحَقُّ: بالتحريك: الغَيْظُ، أو شِدَّتُهُ. ج: جُنَاقٌ، والخُنُقُ، بالضَّمِّ: السَّمَانُ من الإبل. ينظر: الصحاح 1465/4؛ والمحكم والمحيط الأعظم 16/3؛ وتاج العروس 99/13.

² - ينظر: مختارات ابن الشجري ص 2-7؛ والشعر والشعراء 152/1؛ والأغاني ج 24/20؛ وشرح القصائد العشر ص 272، ومصادر الشعر الجاهلي ص 133.

³ - القمر: 7.

⁴ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج 355/5.

⁵ - الكشاف 432/4.

⁶ - القارعة: 4.

⁷ - الكشاف 789/4.

المنادي، والصورة الثانية هي- صورة الناس عند خروجهم من قبورهم، لا يعرفون طريقاً لهم، فيقول: «يوم يكون الناس كالفراش المبتوث، فهما صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما- عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفراش المبتوث بعضه في بعض، لا جهة له يقصدها، فإذا سمعوا المنادي قصده، فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأنَّ الجراد له وجه يقصده»⁽¹⁾.

كما تفرّد محيي الدين درويش بذكر نوع التشبيه في الآية، فصّرّح بأنه تشبيه مرسل مفصل، فقال: «وفي قوله: (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) تشبيه مرسل مفصل؛ لأن الأركان الأربعة موجودة فيه، فقد شبّههم بالجراد في الكثرة والتموّج»⁽²⁾.

ويرى الباحث أن التشبيه بالجراد في الآية جاء ليبين صورة الناس يوم البعث، وهم خارجون من قبورهم، يقصدون من يناديهم، فيتجهون للمنادي، فالجراد يعرف وجهته، والناس بعد النداء يعرفون وجهتهم. أما التمهيد بذكر صورة الفرّاش المبتوث الذي يتخبط ولا يعرف طريقه، فهي صورة الخروج من القبور قبل سماع صوت المنادي، فإذا نادى المنادي تظهر صورة التشبيه بالجراد الذي يعرف وجهته، ففي التشبيه بالفرّاش المبتوث بيان وتجسيد لقوة التشبيه بالجراد.

2- التشبيه بأسماء بعض الحيوانات:

تأتي الحيوانات في مرتبة متقدمة عند الشعراء، فقد تغنوا ببعضها، كالخيل والإبل وغيرهما، وتحدثوا عن بعضها في باب الهجاء، مثل الحمار والكلب والقرد والخنزير وغيرها، غير أنّ الكلب أخذ معنى آخر وهو الوفاء، كما ذكرت عدة حيوانات في القرآن الكريم، منها الخيل والبغال والخنازير والإبل، غير أنني سألتزم بذكر الحيوانات التي سيقّت في باب التشبيه، منها: الحمار، والكلب والخنزير والقرد؛ لارتباط هذه الحيوانات بالتشبيه المذكور في كلام العرب وكتاب الله، ونجد المعاني الجليلة تتضح أكثر في الاستعمال القرآني من

¹ - تفسير القرطبي 130/17.

² - إعراب القرآن وبيانه 374/9.

خلال الغوص في معاني الآيات القرآنية المختارة، وفهم أسرارها البلاغية، وأنا سأتناول التشبيه بالحيوانات، وفق الترتيب الآتي:

أ - التشبيه بالحمار:

ذكر الفرزدق أسنان الحمار في صورة تشبيهية يهجو فيها قومًا، فجعل كبير سنهم وصغيرهم سواء في الشرّ، فقال: ⁽¹⁾

شَبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سَوَاءٌ سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ ⁽²⁾

فالشاعر يذم قومًا في كبير سنهم وصغيره، وجعلهم في مرتبة واحدة في الشر بكلمة (سواسية)؛ لأن العرب تستعملها غالبًا في الشر؛ وزاد الذم والقبح باقترانها بالحمار.

ويتضح أن التشبيه بأسنان الحمار تستعمله العرب في باب الذم، فيقولون: «سواسية كأسنان الحمار» ⁽³⁾، فقد ذكره أبو هلال العسكري وغيره، فيقول: «أي: مستوون في الشرّ، فَلَا يُقَالُ سَوَاسِيَّةٌ إِلَّا فِي الشَّرِّ» ⁽⁴⁾، فلفظة السواسية جاء استعمالها للناس الأقزام القصار من الناس، فدلالته على الذم واضحة، وجاءت هنا في أسنان الحمار المقرونة برأس الحمار المذموم، فأخذت الذم والسوء من جهتين، وهي دلالة على سوء البقية من أعضائه ⁽⁵⁾.

وبذلك جاء تشبيههم بأسنان الحمار، وهذا من أشدّ الهجاء؛ لأن أسنانه متساوية، فاجتمع الذم كون الأسنان المستوية في رأس حمار، فهو لا يعي ولا يعقل شكله ولا فعله، فتكوّن الذم في الشكل والفعل.

كما استعمل العرب لفظة (سواء) مقرونة بأسنان المشط في باب الخير في أمثالهم، بقولهم: «سواء كأسنان المشط» ⁽⁶⁾؛ لعدم التفاوت، وإثبات التساوي بين الناس، فلفظة (سواء) في الخير، وسواسية في الشر.

¹ - البيت من الوافر؛ للفرزدق، وليس في ديوانه، وهو له في: لسان العرب 409/14؛ والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية 425/3.

² - سواسية وسواس: أسماء جمع؛ أي: متساوون. وتجمع على: سواسة أيضًا، ولكنها نادرة، وأسنان الحمار مستوية. ويقال هذا في الهجاء. وأمّا في غير الهجاء، فيقولون: «سواسية كأسنان المشط». ينظر: لسان العرب 2160/3.

³ - مجمع الأمثال 329/1.

⁴ - جمهرة الأمثال 522/1.

⁵ - ينظر: العقد الفريد 357/3.

⁶ - جمهرة الأمثال 522/1.

ويأتي التصوير القرآني بذكر اسم الحمار؛ لبيان حقيقة عدم الانتفاع بما يحمل في صورة تشبيهية مركبة في سياق حديثه عن النصارى، مبيّنًا ما هم عليه من الضلال وعدم الفائدة من علمهم؛ لعدم امتثالهم لما يعلمون، فشبههم الله تعالى بمثل الحمار، يحمل على ظهره كتبًا لا ينتفع بها، فقال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»⁽¹⁾.

ويبين الزمخشري حالة اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة، ولم يعملوا بما جاء فيها، ولم ينتفعوا بما ورد في التوراة، بحال الحمار الذي يحمل العلوم على ظهره، فيتعب من حملها، ولا يستفيد منها، فيقول: «شَبَّهَ اليهود في أنهم حملة التوراة... بالحمار حَمَلَ أَسْفَارًا؛ أي: كتبًا كبارًا من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمرُّ بجنبه وظهره؛ من الكد والتعب»⁽²⁾.

كما يذكر الزمخشري كذلك سوء المثل وهو الحمار الذي ينطبق على حال الكافرين بتكذيبهم برسالة الرسول الكريم ﷺ، فيقول: «بِئْسَ مَثَلًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَهُمْ اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ»⁽³⁾.

ويبدو لي أن ذكر الزمخشري سوء المثل بالحمار جاء لسوء شكله، وفعله، وشدة جهله؛ لاستهجانه من قبل الناس، ويوضح العلوي ملمحًا جميلًا في ذكر لفظة الحمار؛ إذ يستحضر الإنسان عند ذكره معنى الجهل والبلادة، ويشبّه بالحمار، فيقول: «يشير به إلى قولهم في الأمثال السائرة: أجهل من حمار، وأبلد من عي»⁽⁴⁾.

أما عن سبب تشبيه اليهود بالحمار؛ فلأنهم افتخروا على العرب بأنهم أصحاب كتاب، وأن العرب لا كتاب لهم، فشبههم الله بالحمار في حمل العلم دون العمل بما جاء فيه، ويوضح ابن عاشور هذا المضمون، بقوله: «افْتَخَرَ الْيَهُودُ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَالْعَرَبُ لَا كِتَابَ لَهُمْ. فَأَبْطَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِشَبْهِهِمْ بِالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»⁽⁵⁾.

1 - الجمعة: 5.

2 - الكشاف/4/530.

3 - الكشاف/4/530.

4 - الطراز/3/97.

5 - التحرير والتنوير/28/214.

ب- التشبيه بالكلب:

يُنْسَبُ لِعَلِيٍّ بْنِ الْجَهْمِ بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ يَمْدَحُ فِيهِمَا الْخَلِيفَةَ الْمُتَوَكِّلَ، يُشَبِّهُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِالْكَلْبِ فِي الْوَفَاءِ، وَبِالْتَّيْسِ فِي مَجَابَهَةِ الشَّدَائِدِ وَالتَّغْلِبِ عَلَيْهَا⁽¹⁾، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:⁽²⁾

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاطِكَ لِلْوَدِّ وَكَالْتَّيْسِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ⁽³⁾

فالصورة التشبيهية في صفات الممدوح هي الوفاء والشجاعة، وهما صفتان معنويتان يستعملهما العرب في حياتهما، فيشبهون الوفي بالكلب، والشجاع بالتيس، وقد أخذنا من الطبيعية التي يعيشونها، ولا غرابة في استعمال لفظة الكلب، فالعرب تستعمل لفظة جبان الكلب كناية عن الكرم والجود، فيذكرون

¹ - العرب في البادية يصورون الوفي بالكلب، والقوي بالتيس، غير أن الخليفة المتوكل لم يعجبه ذلك التشبيه، ولكنه لم يعاقب الشاعر على ذلك؛ لعلمه بأن الشاعر من ساكني بادية العرب، وأن تصويراته التشبيهية المستخدمة من الطبيعة التي تأثر بها الشاعر في حياته، فأمر بسكن مريح له ببغداد؛ ليتأثر بطبيعة الماء والخضرة، وسكن المدن، فقال قصيدته المشهورة بعد زمن، التي مطلعها:
غَيُورُ الْمَهْمَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ جَلِينُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَثْرِي وَلَا أَثْرِي

ينظر: ديوان علي بن الجهم ص252.

وقد اختلفت الروايات حول هذه القصة، فمنهم من ينسبها لابن الجهم عند المتوكل، ومنهم من ينسبها لغير الشاعر المذكور بين يدي أمير من الأمراء لم يذكر اسمه. ويشير محقق الديوان (خليل مردم بك)، في تعليقه على البيتين إلى أن الشيخ محبي الدين بن عربي يذكر ظهور خبر الوضع في صحة نسبة البيتين لابن الجهم، وإن صحت النسبة فإن قوله جاء للعبث ببعض الندماء أو المضحكين في مجلس المتوكل. ينظر: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار 2-3)، نقلاً عن ديوان علي ابن الجهم ص117. ويبدو لي جلياً أن قول الشيخ ابن عربي هو عين الصواب. كما أن الروايات حول هذه القصة اختلفت، فمنهم من ينسبها للمتوكل؛ لأنها أثبتت في ديوانه، ومنهم من ينسبه لأمير من الأمراء دون ذكر اسمه، ويذكر أحمد الشايب أنه: «مهما يشك في صحة هذه القصة التي تعددت رواياتها فليس من شك أن هناك جماعة من الأدباء والشعراء تغيرت آثارهم كلما تغيرت عليهم آثار البيئة». الأسلوب ص132. وبذلك فإثبات النسبة لابن الجهم غير ثابتة يقيناً.

كما أن هذه النسبة من عدمها ليست من صلب الموضوع، والذي تثبتته أن التشبيه بالكلب وارد عند العرب في المدح وكذلك في الهجاء، كما صور ابن الرومي مهجوه بالكلب في طول الوجه، كما يأتي عند ذكره في سوء الشكل والخلة.

² - البيت من الخفيف، ولبه بيت آخر ينسب لعلّي بن الجهم، وهو:
أَنْتَ كَالدَّلْوِ لَا عِدْمَتَاكَ دَلُّوا مِنْ كِبَارِ الدَّلَا كَثِيرِ الدُّنُوبِ

ينظر: الديوان ص117.

³ - النَّبِيُّ: الذَّكْرُ مِنَ الطَّيِّبِ وَالْمَعَزُ وَالْوُعُولُ، وَقِيلَ: هُوَ خَاصٌّ بِالْمَعَزِ أَوْ هُوَ مِنَ الْمَعَزِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ سَنَةٌ، وَقِيلَ الْحَوْلُ جَدْيٌ، وَقِيلَ: إِذَا أَتَى عَلَى وَلَدِ الْمَعَزَى سَنَةٌ، فَالذَّكْرُ تَبَيَّنَ وَالْأُنْثَى عَنَزٌ. ج تَبَيَّنَ فِي الْغَالِبِ. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس 219/8.

الكلب في أمثالهم وكنياتهم المعنوية، وجُلُّه في باب المدح، وبعضه في باب الهجاء.

ومما جاء في المدح قول عيسى بن علي حسان الأسدي⁽¹⁾ في مدح كلب صيد:
(2)

وَمُؤَدِّبُ الْأَنْسَابِ يُمَسِّكُ صَيْدَهُ مُتَوَقِّفًا عَنْ أَكْلِهِ كَالصَّائِمِ
طَرِبَ إِذَا مَا صَادَ عَانَقَ صَيْدَهُ طَرِبَ الْمُقِيمِ إِلَى عِنَاقِ الْقَادِمِ⁽³⁾

فالشاعر يمدح كلب الصيد ويصفه بأنه يمسك صيده لا يأكل منه شيئاً كالصائم يرى الأكل ولا يأكل منه شيئاً، فصوره في صورة الفرح المَسْرور بنجاحه في اصطياد طريدته، فجاء التعبير بالمعانقة تعبيراً عن عدم الأكل منها، تلك الصورة شبهها الشاعر بصورة الإنسان المُقِيم يأتية ضيفه فيعانقه فَرِحاً مسروراً بقدوم ضيفه إليه.

كما أثبت ابن الرومي الوفاء للكلب ونفاه عن مهجوه (عمرو)؛ إذ أثبت له صفة الغدر، فقال: (4)

وَالْكَلْبُ وَافٍ وَفِيكَ عَدْرٌ فَفِيكَ عَنْ قَدْرِهِ سُفُولٌ⁽⁵⁾

فإثبات الوفاء للكلب هنا لم يأت في باب التشبيه؛ بل في باب التطابق بين صفتين، هما: الوفاء والغدر.

أما في باب الهجاء، فقد جاء التشبيه بالكلب في سوء الشكل والخُلُقَة، في بيت هجاء لابن الرومي، يسبق البيت السابق المذكور مباشرة، وهو: (6)

وَجْهُكَ يَا عَمْرُو فِيهِ طُولٌ وَفِي وَجْهِهِ الْكِلَابِ طُولٌ⁽⁷⁾

¹ - لم أعتزله عن ترجمة.

² - نسب البيتان لعيسى بن علي حسان الأسدي في مخطوط الجمهرة في البيزرة ص 149، مخطوط بمكتبة الأسكوريال، بإسبانيا رقم Esc. 903 ؛ نقلاً عن كتاب أنس الملاً بوحش الفلا ص 144.

³ - ممسك الصيد هو الكلب، و(كالصائم) فقد شبه الكلب بالصائم لا يأكل شيئاً إذا اصطاد صيده.

⁴ - البيت من البسيط، وهو لابن الرومي في كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي 213/1، وليس في ديوان الشاعر.

⁵ - فقد جعل قدر مهجوه (عمرو) أقل من قدر الكلب بدرجة كبيرة بكلمة (سفول) في الوفاء، وأثبت له صفة الغدر، وكأنه نفى عنه الوفاء البتة.

⁶ - البيت من البسيط، وهو لابن الرومي في الحماسة المغربية ص 1359، وكتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي 213/1، وليس في ديوان الشاعر.

⁷ - يعبر عن سوء المنظر في طول الوجه بوجه الكلاب؛ لأن طولها غير محبوب.

فالشاعر يصور خلقةً مهجوه بالكلب في قباحة منظر وجهه وما يحمله ذلك الوجه من فم وأنف وحالة لسانه لا يتوقف عن اللهث في كل أحواله، فقد جمع الشاعر بين صور القبح في الكلب.

كما جاء الهجاء بذكر ثلاثة حيوانات في بيت واحد، وهي: الكلب، والخنزير، واليعر، فالتشبيه بالكلب في الإذلال، وبالخنزير واليعر في النذالة، وذلك في قول حماد عجرد في هجاء بشر بن برد، قوله: (1)

بَلْ أَنْتَ كَالْكَلْبِ (2) ذُلًّا أَوْ أَذْلٌ وَفِي نَذَالَةِ النَّفْسِ كَالْخَنْزِيرِ (3) وَالْيَعْرِ (4)

فألزم هنا في جانب معنوي، وهو التشبيه بالكلب في إذلاله؛ بل زاد عليه فجعل ذل بشر أذل من ذل الكلب، كما جاء تشبيهه بالخنزير واليعر في نذالة نفسيهما، فنذالة الخنزير في قبح منظره، وفي ظلفه الذي يأكل به الحشيش، ونأيه الذي يأكل به الجيف، أما نذالة اليعر، ففي صورة إذلاله، فالصيادون يستعملونه في صيد السباع مع شدة خوفه منها، فيوضع في زبية مغمض العينين فيصيح خوفاً من السباع فيسمع السبع صوته فيأتيه ليأكله فيقع السبع في تلك الزبية، فيأخذه الصياد، ولا يُنظر لليعر أمات أم لم يمتهن، فكلاهما سواء عند الصيادين.

أما في القرآن الكريم فقد ورد التشبيه بالكلب، ولم يرد ذكر التيس واليعر أصلاً باسمهما في القرآن الكريم. أما الخنزير فذكره الله تعالى في غير باب التشبيه، فقد جاء وروده في حكم تحريم أكل لحمه، وقد ذكرتها هنا؛ لبيان حالتها، ولارتباط صورة التشبيه بالخنزير في الشعر، بما ورد من حكم شرعي بتحريم أكل الخنزير في القرآن من الجانب المعنوي.

¹ - البيت من البسيط، وهو له في كتاب الحيوان 159/1.

² - أجناس الكلاب خمسة، هي: الصيدي، المعروف بين الناس، المرغوب فيه، والزغاري، والحبك وهو نوع لا ينفع للصيد، والمشبة وهو دون الصيدي في الطول وأنبال من الزغاري، والزغاري هو النشاق، والحبك والزغواني هو المعروف بين الناس بالدبسي الذي يكون في الأسواق والقرى للحراسة. ينظر: الجمهرة في البيزرة ص 149، نقلاً عن كتاب أنس الملا بوحش الفلا ص 144.

³ - الخنزير: مشترك بين البهيمة والسبيعة، له ظلف يأكل الحشيش، وله ناب، ويأكل الجيف، ولده يسمى الخنوص. ينظر: المخصص 74/8، لابن سيده؛ وحياة الحيوان الكبرى 275/1؛ ونهاية الأرب 299/9 للنويري؛ وكتاب أنس الملا بوحش الفلا ص 58.

⁴ - اليعر: صغار الشاة من الغنم أو الجدي يشد عند زبية الأسد، وعند مأوى الذئب ويغطي رأسه، فإذا سمع السبع صوته، طلبه فوق في الزبية. ومنه قولهم: «فلان أذل من اليعر». وقيل: هي بالغين المعجمة. قالوا في أمثالهم: «أسمن من يعر». ينظر: حياة الحيوان الكبرى 560/2.

لقد جاء التصوير القرآني لبيان صورة مَنْ يَتَّبِعْ هَوَاهُ ولا يتركه بتشبيهه بحالة الكلب في صورة تمثيلية تامة، فقال تعالى: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾ ، وهي صورة تبين حالة من تليت عليه آيات الله فانسلخ منها، فلا يترك هوى نفسه، سواء أدعوته للإيمان بآيات الله أم تركته، فوضعه لا يتغير، فحالة هذا المُنَّبِغْ لشيطانه وهواه، كصورة الكلب في لهته، سواء ركضت خلفه أم تركته، فلا يترك الله⁽²⁾.

فهما صورتان قبيحتان ظاهراً وباطناً، فقد شُبِّهَتْ صورة الكافر المعاند الظاهرة والباطنة بصورة الكلب. أما سبب نزولها المرتبط بصورة الانسلاخ من آيات الله واتباع الشيطان، فقد ورد في نزولها آراء، فقليل إنها نزلت في بيان حقيقة (بلعام بن باعور) في عهد نبي الله موسى عليه السلام، الذي دعا على نبي الله فنزل لسانه على صدره يلهث به، غير أن ابن عاشور يرفض هذه المعلومة ولا يثبتها؛ لأن بلعام من أهل الصلاح في ذلك العهد، لذلك يقول: «فَلَا يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ لِاضْطِرَابِهِ وَاخْتِلَافِهِ»⁽³⁾، وقيل إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت، فقد عرف الحنيفية وهو يبحث عن الحقيقة، فلما جاءته الحقيقة ببعثة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم عاند وتكبر فلم يؤمن به، فهو اللاهث وراء الحقيقة بلا جدوى. كما ذكر سعيد بن المسيب أنها نزلت في أبي عامر بن صَيْفِي الرَّاهِبِ، وَاسْمُهُ النُّعْمَانُ الْخَزْرَجِيُّ⁽⁴⁾. ويرى الباحث أن أمية بن أبي الصلت وأبا عامر ثبتت كفرهما وعنادهما وموتهما عليه، وفيهما أو في غيرهما النزول، فقد جاء التعبير القرآني لبيان القبح في معنى الصورة التي هما عليها، وهي صورة العناد وعدم الترك، فالكافر لا يترك عبادة الأصنام، والكلب لا يترك الله.

وقد جاء سرُّ التشبيه بالكلب في الآية عند بعض المفسرين، ومنهم الزمخشري، فقد ذكر أن في صفة الكلب التي هي مثلٌ في الإذلال والخسة والضعفة، وهي حالة دوام اللهث به واتصاله بلا انقطاع، سواء حمل عليه؛ أي: شدَّ عليه بالهجوم عليه

¹ - الأعراف: 175، 176.

² - بنظر: التحرير والتنوير 360/1.

³ - التحرير والتنوير 175/9.

⁴ - التحرير والتنوير 175/9.

وطرده، أم ترك بلا حمل عليه. فسائر الحيوانات الأخرى لا يكون منها اللهث إلا إذا هيج منه وحرك، وإلا لم يلتهث، غير أن الكلب لهته لا ينقطع في الحالتين⁽¹⁾. ونجد ابن عاشور يتفرّد بوجود التشبيه التمثيلي في الآية، ويعدّها من مبتكرات القرآن، فيقول: «وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُتَكَرَّرَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهْثَ حَالَةً تُؤْذِنُ بِحَرَجِ الْكَلْبِ مِنْ جَرَاءِ عُسْرِ تَنَفُّسِهِ عَنِ اضْطِرَابِ بَاطِنِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِاضْطِرَابِ بَاطِنِهِ، سَبَبٌ آتٍ مِنْ غَيْرِهِ»⁽²⁾.

ويوضح ابن عاشور التشبيه التمثيلي المركب في الآية بصورة جلية، فيقول: «فَهَذَا تَشْبِيهُ تَمْثِيلٍ مُرَكَّبٍ، مُنْتَزَعَةٌ فِيهِ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ وَالْحَالَةُ الْمُشَبَّهُ بِهَا مِنْ مُتَعَدِّدٍ»⁽³⁾.

وقد جاء هذا التمثيل عند ابن عاشور، في ذكر لهث الكلب؛ سواء أَحْمَلَتْ عليه أم تَنَزَّكُهُ، يَلْهَثُ فِي الْحَالَتَيْنِ الْمُشَبَّهَ بِهِمَا، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لِهَذِهِ الْحَالَةِ مُقَابِلٌ فِي الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ، بقوله: «وَتَتَقَابَلُ أَجْزَاءُ هَذَا التَّمْثِيلِ بِأَنْ يُشَبَّهَ الضَّالُّ بِالْكَلْبِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ وَاضْطِرَابُ أَمْرِهِ فِي مُدَّةِ الْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ بِلَهْثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ تَرْكِهِ فِي دَعَا تَشْبِيهِ الْمَعْفُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ فِي إِعْرَاضِهِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ عِنْدَ مَجِيئِهِ بِلَهْثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ طَرْدِهِ وَضَرْبِهِ تَشْبِيهِ الْمَعْفُولِ بِالْمَحْسُوسِ»⁽⁴⁾.

ويصرّح ابن عاشور بأن هذا التوضيح الذي أتى به أغفله الذين فسّروا هذه الآية، ومنهم الزمخشري، فذكر أن التمثيل عندهم انحصر في التشبيه لمجرد التشويه أو الخسة، فالعرض عندهم تشبيه المعرض عن دين الله بالكلب؛ لإظهار خسة المشبه، بقوله: «وَقَدْ أَغْفَلَ هَذَا الَّذِينَ فَسَّرُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَرَرُوا التَّمْثِيلَ بِتَشْبِيهِ حَالَةٍ بَسِيطَةٍ بِحَالَةٍ بَسِيطَةٍ فِي مُجَرَّدِ التَّشْوِيهِ أَوْ الْخَسَةِ، فَيُؤَوَّلُ إِلَى أَنَّ الْعَرَضَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْكَلْبِ إِظْهَارُ خَسَةِ الْمُشَبَّهِ، كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي الْكُشَافِ»⁽⁵⁾.

ويبين سر الآية الذي أغفله الزمخشري وغيره في عدم ربط أول الآية بآخرها، بقوله: «وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَا كَانَ لِذِكْرِ (إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَنَزَّكُهُ

1 - ينظر: الكشاف/2/178.

2 - التحرير والتنوير 177/9.

3 - التحرير والتنوير 177/9.

4 - التحرير والتنوير 178/9.

5 - التحرير والتنوير 178/9.

يَلْهَثُ) كَبِيرٌ جَدَوَى؛ بَلْ يَفْتَصِرُ عَلَى أَنَّهُ لَتَشْوِيهِ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا؛ لِتَكْتَسِبَ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ تَشْوِيهًا، وَذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ النَّمْثِيلِ»⁽¹⁾.

كما أشار ابن عاشور إلى عدم توضيح ذلك المعنى عند بعض المفسرين في تفاسيرهم، ولعله يقصد بذلك الزمخشري، -كما سبق ذكره-، لكنه صرح بإغفال الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن) معنى الحمل في الآية للفعل المراد، فقال: «فَمَعْنَى: إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ أَنْ تُطَارِدَهُ وَتُهَاجِمَهُ. مُشْتَقٌّ مِنْ الْحَمْلِ الَّذِي هُوَ الْهُجُومُ عَلَى أَحَدٍ لِقَاتِلِهِ، يُقَالُ: حَمَلَ فُلَانٌ عَلَى الْقَوْمِ حَمَلَةً شَعْوَاءَ أَوْ حَمَلَةً مُنْكَرَةً. وَقَدْ أَغْفَلَ الْمُفَسِّرُونَ تَوْضِيحَهُ، وَأَغْفَلَ الرَّائِبُ فِي (مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ) هَذَا الْمَعْنَى لِهَذَا الْفِعْلِ»⁽²⁾.

ولبيان كلام الزمخشري في الآية فقد أوجز في بيانه عند ذكر الخسة والضعة، ولكنه لم يهمل صورة الحمل والترك في بيان لهث الكلب المستمر بلا توقف، بعبارات أكثر من الأولى، فقال: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ فَصْفَتُهُ الَّتِي هِيَ مِثْلُ فِي الْخَسَةِ وَالضَّعَةِ، كَصِفَةِ الْكَلْبِ فِي أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَذْلَاهَا، وَهِيَ حَالُ دَوَامِ اللَّهْثِ بِهِ وَاتِّصَالِهِ، سِوَاءِ حَمَلٍ عَلَيْهِ... أَوْ تَرْكٍ... وَالْكَلْبُ يَتَّصِلُ لَهْثُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا»⁽³⁾.

أما الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن)، فقد أوجز أشدَّ الإيجاز، فلم يذكر سوى الصورة الأولى القريبة في التشبيه بالكلب، فقال: «شَبَّهَهُ بِمَلَاذِمَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ هَوَاهُ وَقَلَّةِ مَزَايِلَتِهِ لَهُ بِالْكَلْبِ الَّذِي لَا يَزَالُ اللَّهْثَ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ»⁽⁴⁾.

ويرى الباحث أن ابن عاشور قد تفرّد في شرحه وبيانه لمعنى الحمل وذكر صور التشبيه وأنواعه في الآية- كما أثبتته لنفسه-، فكلامه أكثر تفصيلاً، فهو أعم وأشمل من غيره.

¹ - التحرير والتنوير 178/9.

² - التحرير والتنوير 178/9.

³ - الكشف 178/2.

⁴ - المفردات في غريب القرآن ص 760.

ج- التشبيه بالقرد:

هجا الشاعر حماد عجرد بشار بن برد، بتشبيهه إياه بالكلب والخنزير واليعر، في المسألة السابقة، وجاء البيت الذي يليه – موضوعنا هنا- بتشبيهه بالقرد في سوء منظره وتشويهه؛ بل جعل منظر القرد أفضل من منظر مهجوه، فقال: ⁽¹⁾
وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ بَلْ صُورَةُ الْقَرْدِ أَبْهَى مِنْكَ فِي الصُّورِ

فقد شبه الشاعر مهجوه بالقرد في سوء منظره الظاهري، وزاد في تشويهه، فجعل صورة القرد أجمل وأبهى من صورته، وهذا التشويه في غاية القبح. أما في كتاب الله ، فلم يرد ذكر القردة والخنازير في صورة التشبيه؛ بل جاء ذكرهما في بيان حقيقة الذين لعنهم الله، بعبادتهم الأصنام، فمسخهم الله على هيئة القردة والخنازير، ووصفهم بأنهم وُضِعُوا في شَرِّ مَكَانٍ؛ لأنهم لم يسيروا في الطريق السليم، فبين الله تلك الصورة القبيحة لحالهم في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)⁽²⁾، وذكر حالتهم الممسوخة في الآية، ببيان عقوبتهما بالمسخ؛ بتركهما عبادة الله والذهاب لعبادة الطاغوت. فالمغزى واحد بين ذكر القرد هنا، والخنزير- والحيوانات الأخرى السابقة التي وردت في صورة التشبيه؛ لأن الغاية في البيت الشعري بيان سوء المنظر ، وفي الآية كذلك فقد وضحت الآية صورة الذين لعنهم الله وغضب عليهم صاروا قردة وخنازير في منظرهم وسوء حالهم.

وقد أتيت بهما هنا؛ لتلاقيهما في وحدة الموضوع؛ لأن التشويه في معنى سوء الحال في صورة المسخ بالقرد في الآية هو نفس معنى صورة التشبيه بالقرد في البيت في سوء المنظر والمال، فذكر التشبيه بالقرد في البيت، هي صورة التشويه في الخلقة، فأثبت التشبيه في الشعر ولم يتضح في الآية بصورة جلية، إلا إذا تصورنا أقوالهم المتلاعب في الحجج المتقلبة لترك عبادة الله، بصورة القردة والخنازير في حركتها المتقلبة والمتغيرة، وفي سوء المنظر لهما، فالذين غضب الله عليهم لا تجد لهم على ثبات، وهذا بعيد التأويل بعض

¹ - البيت من البسيط، وهو له في كتاب الحيوان 159/1.

² - المائدة: 60.

الشيء، غير أن إثبات سوء المنظر والحال للقرد واقع في الشعر وفي الآية، كما أن الاتيان بالآية هنا؛ لبيان صورة القبح الواقع في الشعر، فالصورة في فهم الآية تدل على قبح مآل المعاندين الذين لعنهم الله وغضب عليهم، بمجيء العقوبة بجعلهم حيوانات ذات منظر قبيح.

ثالثاً- خاتمة القول:

من خلال الغوص في أسرار التشبيه بأسماء الحشرات والحيوانات في كلام العرب وكتاب الله العزيز، في هذا البحث، تبين وجود مقاصد قرآنية عظيمة، تتعلق بفهم أسرار الجوانب العقديّة والإنسانية والاجتماعية والفكرية في قلوب الناس، ومعرفة حقيقتها والطريقة الناجعة التي استخدمها القرآن الكريم في معالجتها، فالنص القرآني صوّر حال المشركين والمنافقين والمكذّبين، في صور عدة، فشبههم بأسماء بعض الحشرات والحيوانات؛ لمعالجة إشكالات القلوب لديهم؛ للوصول إلى حقيقة الإيمان بالله وحده، وقد سجلت بعض الحيوانات والحشرات، وتركت بعضها؛ لكي لا يطول البحث، تاركاً المجال لغيري من الباحث لغوض هذا الغمار، وأسجل هذه الأسرار التشبيهية في النتائج الآتية:

- 1- ورد في أشعار العرب الكثير من أسماء الحشرات والحيوانات، بعضها في باب التشبيه، مثل: العنكبوت والبعوضة، والحصار، والكلب، والخنزير، واليعر، والقرد، وبعضها في غير التشبيه، مثل الخيل والإبل وغيرها.
- 2- قلة التشبيه بالحشرات والحيوانات المذكورة في أشعار العرب، وفي كتاب الله، وموضوعاتها التشبيهية المذكورة جاءت في باب الذم، غير أن التشبيه بالكلب قد جمع في شعر العرب بين المدح والهجاء.
- 3- استعمال القرآن الكريم أسماء الحشرات والحيوانات كثيرة، غير أن التشبيه ورد هنا في العنكبوت، والبعوضة، والحصار، والكلب.
- 4- استعمل القرآن الكريم التشبيه بالعنكبوت في موضوع هام، وهو بيان حالة الكفار في عبادتهم الأصنام، وبناهم أمورهم عليها، فالعنكبوت تبني وتجتهد، وأمرها كله ضعيف؛ فالمعالجة لحال الكافرين ليتركوا عبادة الوهن والضعف التي لا تنفع، ويعبدوا الله الواحد الأحد.

- 5- جاء التشبيه القرآني باسم البعوضة؛ لبيان عجز الكفار في معرفة الكبير والصغير مما خلق الله، فجاء التحدي القرآني بتلك الحشرة الصغيرة؛ ليرشدهم إليه E بظهور عجزهم الواضح.
- 6- ورد في القرآن الكريم التشبيه بالحمار؛ لبيان عدم الانتفاع لما يحمل فوق ظهره، وتوضيح الضلال الذي عليه اليهود والنصارى في عدم انتفاعهم لما يعرفون من العلم، وعدم امتثالهم لما يعلمون من الحق.
- 7- شبه القرآن الكريم اتباع الهوى وعدم تركه، بلهث الكلب؛ للوقوف على حالة من تليت عليه آيات الله فانسلخ منها، فلا يترك هوى نفسه، سواء دعوته للإيمان بآيات الله أم تركته، فوضعه لا يتغير.
- 8- جاء التشبيه بالقرود في كلام العرب في باب الهجاء ببيان سوء الخلقة والمنظر، فهي صورة التشويه في الخلقة.
- 9- لم يثبت التشبيه في الآية التي تناولت ذكر القرود والخنازير بصورة جلية؛ بل جاء السياق القرآني لبيان حقيقة الذين لعنهم الله بعبادتهم الأصنام، فمسخهم الله على تلك الهيئة، والإتيان بالآية لتوضيح صورة سوء القبح في الشعر.
- 10- التشويه في صورة المسخ بالقرود في الآية هو نفس معنى صورة التشبيه عند ذكر الحمار والكلب في القرآن، فقد جاءت الصورة في حقيقة المسخ والتشبيه بالحيوانين المذكورين؛ لمعالجة القلوب في إثبات رسالة الإيمان بالله الواحد.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- 1- أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م.
- 2- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ - 2001م.
- 3- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، لاط، لات.
- 4- الأسلوب، لأحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية، ط12، 2003م.
- 5- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، ودار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط4، 1415هـ.
- 6- الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين، ط15، أيار - مايو 2002م.
- 7- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1415 هـ.
- 8- الإيضاح في علوم البلاغة، للقرويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجيل بيروت، ط3، لات.
- 9- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب، ط7، 1426هـ-2005م.
- 10- البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبيكة الميداني الدمشقي. دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
- 11- المعاني الكبير في أبيات المعاني، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تحقيق: المستشرق د سالم الكرنكوي، وعبد الرحمن بن يحيى

- بن علي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1368هـ، 1949م.
- 12- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي. دار الفكر، بيروت، ط1، 1414 هـ.
- 13- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق صدقي محمد جميل. دار الفكر، بيروت، لاط، 1420هـ.
- 14- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور. الدار التونسية للنشر، تونس، لاط، 1984 هـ.
- 15- تفسير الكشاف، للزمخشري. دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ.
- 16- التفسير الميسر، تأليف نخبة من أساتذة التفسير، بإشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ. المدينة المنورة، 1430هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط2، 1430هـ - 2009.
- 17- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، لات.
- 18- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.
- 19- جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. دار الفكر، بيروت، لاط، لات.
- 20- الحماسة المغربية، (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجزاوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م.
- 21- حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء كمال الدين الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ.
- 22- دراسة في نصوص العصر الجاهلي، تحليل وتذوق السيد أحمد عمارة. مكتبة المتنبي، لاط، لات.

- 23- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نظار، مطبوعات مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لاط، 1981م.
- 24- ديوان ابن الوردي، لعمر بن مظفر بن الوردي، تحقيق عبد الحميد هندراوي. دار الآفاق العربية، مدينة نصر- القاهرة، ط1، 1427 هـ - 2006م.
- 25- ديوان ذو الرمة بشرح أبي نصر الباهلي، رواية ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان جدة، ط1، 1982م، 1402هـ.
- 26- ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه خليل مردم بك. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م.
- 27- ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
- 28- ديوان لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي، دار صادر، القاهرة، ط3، 2003م
- 29- شرح القصائد العشر، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا. عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية، لاط، 1352 هـ.
- 30- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، لاط، 1423هـ.
- 31- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.
- 32- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبلي الملقب بالمؤيد بالله. المكتبة العنصرية - بيروت، ط1، 1423 هـ.
- 33- العقد الفريد، لابن عبد ربه، لابن عبد ربه الأندلسي. دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1404 هـ.
- 34- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ط12، لات.

- 35- كتاب أنس الملاً بوحش الفلا، لمحمد بن منكلي (ت784هـ- 1314م).
مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ -
1993م.
- 36- كتاب الحيوان، للجاحظ. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- 37- كتاب العين، للخليل الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د
إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، لاط، لات.
- 38- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب
الله، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف، لاط، القاهرة.
- 39- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري،
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة - بيروت، لبنان، لاط، لات.
- 40- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده
المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،
1421هـ - 2000م.
- 41- مختارات شعراء العرب، لضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن
حمزة، المعروف بابن الشجري ، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي.
مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1344هـ -1925م.
- 42- المخصص، لابن سيده. مطبعة بولاق، 1318 هـ- 1886م.
- 43- مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد. دار المعارف بمصر،
الطبعة السابعة 1988م.
- 44- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. عالم
الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- 45- معجم البلاغة العربية، لبديوي طبانة. منشورات جامعة طرابلس، كلية
التربية، ليبيا، ط1، 1395هـ - 1975م.
- 46- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، لإميل بديع يعقوب. دار الكتب
العلمية، ط1، 1417هـ - 1996م.
- 47- مفاتيح الغيب، للرازي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420
هـ.

- 48- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.
- 49- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، المجلد الأول والثاني: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، والمجلد الثالث: تحقيق عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه). مكتبة الخانجي، ط1، 1994م.
- 50- نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب النويري. لاط، القاهرة، 1964- 1988م - (مختلف في السَّنة).